أحمد عثمان

مخطوطات البحر الميت

مكتبة الشروق

فهـــرست

الموضـــــوع	الصفحة
- الأسرار الحقيقية وراء إخفاء مخطوطات كهوف قمران .	٧
- العيسويون اليهود ينشقون على كهنة المعبد .	١٧
- العثور فى قمران على نماذج مختلفة من أسفار العهد القديم .	٢٧
- كتاب التلاميذ ومخطوطة دمشق .	٣٧
- من هو المعلم الصديق لجماعة قمران ومن هو الكاهن الشرير	٤٧
- معركة أبناء النور مع أبناء الظلام فى آخر الأيام .	٥٧
- حلم المدينة الفاضلة أو جنة نهاية الأيام .	٦٧
- لغز الكنز المفقود واستطلاع النجوم وعلامات الأمير القادم	٧٣
- مخطوطة المعبد ومشروع يادين لخلط مخطوطات قمران مع كتابات الماسادا .	٨٣
- هيئة الآثار الإسرائيلية تفرض سيطرتها على المخطوطات .	٩٣

الموضـــــوع	الصفحة

- ما هى الأسرار الحقيقية وراء إخفاء مخطوطات كهوف قمران ؟ ١٠٣
- مفاجأة فى صعيد مصر .. أناجيل قبطية لم تكن معروفة من قبل . ١١٥
- مكتبة نجع حمادى القبطية تعيد كتابة تاريخ الجماعات المسيحية الأولى . ١٢٧
- الإناجيل القبطية لا تعرف محاكمة بيلاطس ولا تعترف بالصليب الذى وضعته كنيسة روما . ١٣٧
- أباء الكنيسة يتحولون إلى أساقفة ويحددون ما هى التعاليم الصحيحة وما هو هرطقة . ١٤٩
- مخطوطات نجع حمادى .. ما هو التاريخ الحقيقى لظهور اللغة القبطية ولماذا يتم أخفاؤه ؟ ١٥٩

الأسرار الحقيقية
وراء إخفاء مخطوطات كهوف قمران

أثار الإعلان عن اكتشاف مخطوطات عبرية وآرامية قديمة بمنطقة قمران فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، حماس الباحثين فى تاريخ الكتب المقدسة ، وراحوا ينتظرون العثور بينها على المعلومات التى يمكن أن تزيل الغموض عن مرحلة هامة من التاريخ الإنسانى . ذلك أن أقدم نسخة عبرية موجودة الآن من كتب العهد القديم ترجع إلى القرن العاشر بعد الميلاد ، وهى تتضمن اختلافات عديدة عن النسخة السبعينية اليونانية التى ترجمت فى الأسكندرية خلال القرن الثالث قبل الميلاد . أيهما أكثر صحة عند الاختلاف ؟ وأيهما يمكن الاعتماد عليه ؟ ولا يتوقف الأمر على الجماعات اليهودية ، فإن الكنائس المسيحية تعتبر العهد القديم جزءا من كتابها المقدس ، وبينما كان المسيحيون حتى القرن العاشر يستخدمون الترجمة السبعينية اليونانية فهم قد تحولوا عنها - باستثناء الكنيسة اليونانية - إلى ترجمة النسخة العبرية منذ القرن العاشر .

كما أن المعلومات التى وصلتنا عن السيد المسيح جاءت كلها من كتابات كتبت بعد نصف قرن من الوقت الذى حددته لوفاته ، وليس هناك نص واحد - ولو صغير - جاء فيه ذكر المسيح فى المصادر التاريخية المعاصرة للفترة التى قيل إنه عاش فيها ، بل إن كتب العهد الجديد

نفسها - وهى المصدر الوحيد عن تاريخ يسوع - تعطينا معلومات متضاربة فى شأن حياتــه ، ومماته فبينما يذكر إنجيل متى أن مولده كان أيام حكم الملك هيرود ، **الذى مات فى العام الرابع قبل الميلاد** ، فإن إنجيل لوقا يجعل مولده فى عام الإحصاء الرومانى ، أى فى العام السادس بعد الميلاد . والخلاف قائم كذلك على تحديد الوقت الذى انتهت فيه حياته الأرضية ، فبحسب ما ورد فى الأناجيل من معلومات ، هناك من يحدده فى العام الثلاثين أو فى العام الثالث والثلاثين أو السادس والثلاثين .

وبينما كان الاعتقاد سابقاً بأن كتبة الأناجيل كانوا هم أنفسهم من تلاميذ المسيح وحواريه الذين عاصروه وكانــوا شهوداً على ما كتبوه من معلومات ، فقد تبين فى العصر الحديث أن أحداً منهم لم يره ، وأنهم جميعاً اعتمدوا فى رواياتهم على ما سمعوه عن آخرين أو ما فسروه من الكتابات القديمة .

وعلى هذا فإن العثور على كتابات قديمة ، سابقة ومعاصرة للفترة التى عاش فيها المسيح عيسى ، وفى منطقة لا تبعد إلا بضعة كيلومترات عن مدينة القدس التى قيل إنه مات فيها ، قد أنعش الآمال فى وجود معلومات بها تحل هذه الألغاز وتبين حقيقة الأمر فى تاريخ مؤسس الديانة المسيحية ، وعلاقته بالجماعات اليهودية الموجودة فى عصره ، وزاد

الحماس عندما تم نشر الأجزاء الأولى من المخطوطات فى الستينات ، وتبين أنها تنتمى إلى جماعة يهودية / مسيحية تعرف باسم العيسويين ، وأ نه كان لهم معلم يشبه فى صفاته عيسى المسيح . إلا أن الحماس الذى ساد بين الباحثين والقراء العاديين قابله قلق وخشية من جانب السلطات الدينية - وما يتبعها من هيئات أكاديمية - لدى كل من الطوائف اليهودية والمسيحية وليست دواعى هذا القلق تتعلق بالخوف من أن المعلومات المكتشفة قد تؤدى إلى إضعاف إيمان المؤمنين ، فهذه كتابات دينية قديمة ، وإنما ساد القلق بسبب ما قد تكشفه هذه النصوص من تغيير وتبديل - ليس فقط فى حقائق التاريخ القديم - وإنما فى تفسير النصوص الدينية وفى مغزاها كذلك . ولهذا فمنذ أن استولت السلطات الإسرائيلية على مدينة القدس القديمة بعد حرب يونيو ١٩٦٧ ، توقفت أعمال نشر المخطوطات تماماً ، ولا يزال هناك ما يزيد عن نصفها غير منشور بل إن السلطات الإسرائيلية فى محاولة منها لإسكات الأصوات التى ارتفعت فى العالم كله - وكانت أقواها أصوات الباحثين اليهود أنفسهم - قد عمدت إلى القيام بتمثيلية مرسومة للتخلص من هذا الإلحاح ، فقد أرسلت سلطات الآثار الإسرائيلية صوراً فوتوغرافية ، زعمت أنها تمثل كل المخطوطات الموجودة فى متحف روكفلر بالقدس ، إلى جامعة أكسفورد البريطانية وكذلك إلى إحدى الجامعات الأمريكية ، وتظاهرت السلطات الإسرائيلية

بالغضب والاحتجاج عندما قامت هذه الجامعات بترجمة ونشر الصور التى فى حوزتها ، بدون تصريح رسمى من إسرائيل .

وكان الهدف من هذه التمثيلية هو الإيحاء بأن كل نصوص المخطوطات قد تم ترجمتها ونشرها ، ولم يعد هناك مبرر لمطالبة السلطات الإسرائيلية بالكشف عما فى حوزتها من كتابات . ومن المؤكد أن هناك بعض النصوص وبعض القصاصات التى لم تترجم بعد ، والتى يراد لها الاختفاء تماما فى ذاكرة النسيان مرة أخرى ، إلا أن الجزء الذى كان قد نشر فى البداية ، يكفى كى يبين لنا طبيعة الأسرار التى يحرص البعض على عدم الكشف عنها ، وهذا هو ما سنقوم به فى هذه الحلقات .

يطلق اسم (مخطوطات البحر الميت) على مجموعات المخطوطات القديمة التى تم العثور عليها فى ما بين ١٩٤٧ و ١٩٥٦داخل كهوف الجبال الواقعة غربى البحر الميت ، فى مناطق قمران ومربعات وخربة ميرد وعين جدى ومسادا . وكان للعثور خاصة على منطقة قمران - أو عمران - بالضفة الغربية للأردن ، على بعد عدة كيلومترات جنوبى مدينة أريحا منذ ما يقرب من نصف قرن أثر عميق على تفكير الباحثين اليهود والمسيحيين فى العالم كله ، أدى بلا شك إلى تغير كبير فى العديد من الاعتقادات التى كانت قائمة فى فلسطين ، ومع هذا فنحن لا نزال فى بداية الطريق ، ولن تظهر النتائج الكاملة لاكتشاف مكتبة قمران إلا بعد أن

تنشر كافة النصوص وتظهر دلالاتها الحقيقية أمام الباحثين .

لم تكد الحرب العالمية الثانية تنتهى ، عندما تم العثور على الكهف الأول فى ربيع ١٩٤٧ بالقرب من البحر الميت ، وكانت فلسطين لا تزال تحت الحماية البريطانية وما تزال مدينة القدس والضفة الغربية فى أيدى الفلسطينيين . فقد أضاع الصبى محمد الديب إحدى الماعز من قطيعه ، وكان ينتمى إلى قبيلة التعامرة التى تتجول فى المنطقة الممتدة بين بيت لحم والبحر الميت . وصعد الصبى فوق الصخر باحثاً عن معزته ، فشهد فتحة صغيرة مرتفعة فى واجهة سفح الجبل ، وعندما ألقى محمد بحجر داخل هذه الفتحة سمعها تصطدم بمادة فخارية فى الداخل ، فأعاد الكرّة وألقى بعدة أحجار أخرى ، وكان فى كل مرة يسمع ذات الصوت الذى يحدث عند ارتطام الأحجار بالفخار . عند هذا تسلق محمد سفح الجبل وأطل برأسه داخل الكوة ، واستطاع فى ظلام الكهف أن يشاهد عدداً من الأوعية الفخارية مصفوفة على أرضية الكهف. وفى صباح اليوم التالى عاد محمد ومعه أحد أصدقائه إلى موقع الكهف ، الذى ساعده على الصعود إلى الكوة والدخول منها إلى الكهف ، الذى عثر بداخله على عدة أوعية فخارية بداخلها لفافات تحتوى على سبع مخطوطات .

وسرعان ما ظهرت المخطوطات معروضة للبيع عند تاجر للأنتيكات فى بيت لحم عرف باسم كاندو ، الذى باعها لحساب التعامرة ، فقام مار

أثاناسيوس صموئيل - رئيس دير سانت مارك للكاثوليك السوريين - بشراء أربع مخطوطات بينما اشترى الأستاذ إليعازر سوكينوك الثلاث الباقية لحساب الجامعة العبرية بالقدس . ولما قامت الحرب العربية الإسرائيلية على أثر إعلان قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ فى ١٥ مايو ، خشى أثاناسيوس على مصير المخطوطات التى اشتراها ، فأرسل المخطوطات الأربع إلى الولايات المتحدة لعرضها للبيع هناك إلا أنه فى النهاية وافق على بيعها مقابل ربع مليون فقط ، عندما اشتراها إيجال يادين - ابن الأستاذ سوكينوك - لحساب الجامعة العبرية فى القدس . وهكذا أصبحت المخطوطات السبع الأولى فى حوزة الجامعة العبرية الإسرائيلية .

وعندما تم إعلان الهدنة بين الدول العربية وإسرائيل فى ٧ يناير ١٩٤٩ ، أصبحت منطقة قمران والثلث الشمالى من منطقة البحراليت تحت سيطرة المملكة الأردنية الهاشمية . وبدأ الأردنيون ينظمون عمليات أثرية للبحث عن المخطوطات ، وكان التعامرة يحتفظون بموقع الكهف سراً لا يبيحون به لأحد ، فتمكن الجيش الأردنى من العثور على الكهف فى نهاية يناير ١٩٤٩ .

بعدذلك نظم الأردنيون عمليات تنقيب دخل الكهف ، بإشراف هاردنج

البريطانى ، وكان يشغل مدير الآثار الأردنية ، والكاهن رولاند دى فو ، الذى كان مديراً للإيكول بيبليك دى فرانس بالقدس الشرقية . وعثر الأثريون على مئات القصاصات الصغيرة داخل الكهف ،إلى جانب قطع من الفخار والقماش والخشب ، ساعدت فى تحديد تاريخ المخطوطات .إلا أن عمليات التنقيب الأثرية لم تبدأ فى بقايا خربة قمران - التى تقع أسفل الكهف - إلا فى نوفمبر ١٩٥١ ، حيث تم العثور على أطلال القرية القديمة التى عاش بها العيسويون وبها بقايا رومانية من بينها عملات نقدية ، يشير تاريخها على أن هذا الموقع كان مسكوناً إلى أن قامت حركة التمرد اليهودية ضد الرومان فى الفترة ما بين ٦٦ و ٧٠ ميلادية ، والتى انتهت بحرق مدينة القدس وطرد اليهود من المنطقة المحيطة بها .

وطمعاً منهم فى الحصول على الربح المالى ، انتشر التعامرة فى كل وديان البحر الميت بحثا عن مخطوطات أخرى قد تكون مخبأة فى الكهوف العديدة الموجودة فى هذه المنطقة الجبلية ، وفى فبراير ١٩٥٢ استطاع البدو العثور على كهف آخر به العديد من المخطوطات التى تحللت إلى قصاصات صغيرة ، باعوها إلى السلطات الأردنية . واتبعت سلطات الآثار الأردنية نفس الطريقة التى اتبعها التعامرة فى البحث داخل كهوف البحرالميت عن المخطوطات ، وانتهى الأمر عام ١٩٥٦ باكتشاف مجموعة من أحد عشر كهفاً فى منطقة قمران تم ترقيمها ، وبينما عثر

التعامرة على أربعة كهوف ١ ، و٤ ، و٦ ، و١١ ، فإن الآثار الأردنية عثرت على السبعة الباقية .

كان المار أثاناسيوس قد سمح للمدرسة الأمريكية للدراسات الشرقية فى القدس - وهى التى قامت بالتحقق من القيمة الأثرية للمخطوطات - بتصوير ونشر المخطوطات الأربع التى فى حوزته ، وبالفعل قامت المدرسة أولا بنشر صور لهذه المخطوطات ما بين ١٩٥٠ و ١٩٥١ ، حتى تسمح للباحثين بالاطلاع عليها ، ثم تبعت هذا بنشر ترجمة انجليزية لها . كما قامت الجامعة العبرية بنشر صور المخطوطات الثلاث التى حصلت عليها مع ترجمة لها عام ١٩٥٤.

أصبح الأب دى فو هو المسئول عن عمليات البحث الأردنية عن مخطوطات قمران ، وبالتالى عن عمليات إعداد وترجمة ونشر النصوص التى عثر عليها ، فأوكل قصاصات الكهف رقم ١ إلى « دومينيك بارثيلمى » و « ميليك » اللذين يعملان معه فى الإيكول بيبليك دى فرانس ، وبالفعل تم إعداد ونشر الترجمة الإنجليزية لها عن جامعة أكسفورد عام ١٩٥٥ . إلا أن الحكومة الأردنية قامت عام ١٩٥٣ بتشكيل لجنة عالمية من ثمانية باحثين - ليس بينهم عربى واحد - لتولى عملية إعداد المخطوطات ونشرها برئاسة دى فو ، وحضر جميعهم من فرنسا وانجلترا والولايات المتحدة وألمانيا إلى القدس للعمل .

بعد ذلك تم عام ١٩٦١ نشرت ترجمة المخطوطات التى عثر عليها فى كهوف منطقة مربعات (جنوبى منطقة قمران) التى ترجمها ميليك ، فى الجزء الثانى وتتضمن الجزء الرابع المزامير التى وجدت فى الكهف رقم ١١ عام ١٩٦٥ ، والجزء الخامس القصاصات التى عثر عليها فى الكهف رقم ٤ عام ١٩٦٨ .

وجدت كهوف فى مناطق أخرى غير قمران ، عثر بداخلها على مخطوطات قديمة ، فى مناطق الميرد فى الجنوب الغربى لقمران ومربعات فى الجنوب الشرقى وماسادا ، وهى القلعة اليهودية القديمة فى المنطقة الخاضعة لإسرائيل فى النصف الجنوبى للبحر الميت . فلم يكتف التعامرة بالتنقيب عن المخطوطات فى منطقة قمران بل إنهم راحوا يجوبون كل المنطقة الجبلية المطلة على البحر الميت بحثا فى كهوفها عن الكنز القديم . وفى أكتوبر ١٩٥١ عثر بدو التعامرة على مخطوطات مكتوبة بالعبرية وباليونانية فى أحد الكهوف بوادى مربعات - حوالى ١٥ كيلومتراً جنوبى كهف قمران الأول - وعرضوها على السلطات الأردنية لشرائها وكذلك عثر التعامرة فى نفس الفترة على بعض الكتابات المسيحية فى منطقة الميرد القريبة من قمران ، من بينها كتابات سريانية ، كما قامت بعثة من الأثريين الإسرائيليين - بقيادة إيجال يادين - بالبحث عن المخطوطات فيما بين ١٩٦٣ و ١٩٦٥ ، فى بقايا قلعة ماسادا بالمنطقة التى تقع تحت سيطرتهم

فى الجنوب الشرقى من مدينة الخليل ، وتم العثور على بعض المخطوطات هناك ولكن الذى يهمنا هنا هو مخطوطات منطقة عمران بالتحديد ، التى تركتها طائفة العيسويين ، وليس الكتابات اليهودية والمسيحية التى وجدت فى باقى المناطق .

نشبت الحرب بين العرب وإسرائيل عام ١٩٦٧ ، التى كان من نتيجتها سقوط الضفة الغربية تحت السيطرة الإسرائيلية ، وكذلك متحف القدس الذى به المخطوطات ، ولم يفلت من هذا المصير سوى مخطوطة واحدة هى المخطوطة النحاسية لأنها كانت فى عمّان فى ذلك الوقت ، وتوقفت حركة النشر تماماً بعد ذلك .

العيسويون اليهود
ينشقون على كهنة المعبد

من هم أفراد الجماعة التى كانت تسكن فى برية قمران - فيما بين منتصف القرن الثانى قبل الميلاد ومنتصف القرن الميلادى الأول - والتى تركت كتاباتها مخبأة فى كهوف البحرالميت ؟ أصبح من المتفق عليه الآن بين الباحثين ، أن المخطوطات التى تم العثور عليها فى قمران ، ما هى إلا مكتبة الجماعة القديمة المعروفة فى الإنجليزية باسم « إيسينز » ، إلا أن الخلاف لايزال قائما حول الأصل المحلى لهذه الكلمة ومغزاها يقول الأستاذ عباس محمود العقاد فى الطبعة الثانية من كتابه عن « حياة المسيح » ، الذى كتبه بعد الاطلاع على ما نشر فى الخمسينات من ترجمات للمخطوطات ، والمعلومات الأولى عن جماعة قمران : « لعل أرجح الأقوال التى خلصت إليها أكثر البحوث والمناقشات ، أن نساك صومعة القمران كانوا زمرة من الأسينيين - إحدى الطوائف المتشددة فى رعايتها للأحكام الدينية - وانتظارها للخلاص القريب بظهور المسيح الموعود ، وهذه هى الطائفة التى ذكرناها فى « عبقرية المسيح » ، فقلنا عنها ما فحواها أنها أقرب الطوائف الإسرائيلية إلى التطهر من أدران المطامع والشهوات ، وانهم كانوا ينتظمون فى النحلة على ثلاث درجات ، وإن أحدهم يقسم مرة واحدة يمين الأمانة والمحافظة على سر الجماعة، ويحرم

عليه القسم بالحق أو بالباطل مدى الحياة ... وهم مؤمنون بالقيامة والبعث ورسالة المسيح المخلص ... (و) رجحنا أن الاسم مأخوذ من كلمة الآسى بمعنى الطبيب » .

اختلف الباحثون فى محاولة الوصول إلى أصل تسمية هذه الجماعة، واختار الأستاذ العقاد الرأى الذى قال بأنه مشتق من كلمة آرامية قديمة « آسى » بمعنى طبيب وأنا أختلف مع العقاد فى هذا الاختيار ، فضلاً عن أن جمع كلمة « آسى » لن يكون هو « إيسين » وإنما « آسيين » ، فإن هؤلاء النساك - وإن كانوا يستخدمون العقاقير لعلاج بعض الأمراض المستعصية - إلا أنهم لم يكونوا أطباء وليس هناك فى الكتابات القديمة التى تحدثت عنهم ، ما يفيد بأنهم اشتهروا بممارسة الطب .

ورد اسم الجماعة مكتوبا باللغة اليونانية فى كتابات فيلو جودایاس ويوسيفوس وبلينى الكبير ، وهو « إيسينوى » أو « إيسايو » واسم الشخص الذى ينتمى إليها هو « إيساوى » ، الذى احتار الباحثون فى معرفة أصله ، فالمشكلة الرئيسية التى تواجه الباحثين فى هذه الحالة أنه بالرغم من أن اسم هذه الجماعة مصدره كلمة محلية ، إلا أنه لم يتم العثور عليه مكتوباً إلا باللغة اليونانية ، ويكون علينا محاولة التعرف على الأصل المفقود .

ولقد اقترح الباحثون العديد من الكلمات العبرية والآرامية ، وليس

هناك اتفاق بينهم على كلمة بعينها للدلالة على هذه الطائفة التى كانت موجودة بفلسطين ، إلا أن هناك إشارات قوية إلى علاقة هذه الجماعة بتلاميذ النبى إشعيا .. الذين انفصلوا عن يهود المعبد وراحوا يعدون الطريق فى البرية لمجئ المخلص عند آخر الأيام (يوم القيامة) . واسم إشعيا بالعبرية « يشع يا » مثل « يشوع » و « يسوع » ومعنى كل هذه الأسماء واحد هو «خلاص الرب » واسم يسوع باليونانية - والذى هو عيسى بالعربية - يكتب « إيسو » . ويبدو أن اسم إشعيا نفسه قد أطلق على عدة تلاميذ للنبى إشعيا ، فقد توصل الباحثون إلى وجود ثلاثة أجزاء فى سفر إشعيا كتبت - على مدى قرنين من الزمان - ما بين القرن السادس والقرن الرابع قبل الميلاد . وعلى أى حال فمن المؤكد أن جماعة قمران كانت لها علاقة قوية بالنبى إشعيا ، حيث تم العثور فى مكتبتها على عدد كبير من كتاباته ، وكانوا يفسرونها تفسيرهم الخاص الذى احتفظوا به سرا ، وخاصة الأجزاء المتعلقة بأناشيد « عبد الرب » ومولد « عمانوئيل » ، وهى نفس النصوص التى اعتمد عليها كتبة الأناجيل فى الإشارة إلى ميلاد عيسى المسيح ، والتى وصفوها بأنها كانت نبوءات بما سيحدث للمعلم .

ولن يكون أمر التعرف على الكلمة الأصلية بهذه الصعوبة لو تذكرنا أن حرف العين الموجود فى اللغة العربية - وجميع اللغات السامية الأخرى -

يتحول إلى ألف فى اللغات الأوروبية ، ومن بينها اليونانية فكلمة « عرب » تتحول إلى « أرب » ، وكلمة « عمر » تتحول إلى « أومر » ، وكلمة «عيسى » تتحول إلـى « إيسا » ونحن لو استبدلنا الألف بالعين فى الكلمة اليونانية ، لوجدنا أن الكلمة الأصلية التى تدل على عضو الجماعة تصبح « عيساوى » - وهى كلمة مستخدمة فى لغتنا حتى الآن - ويكون اسم الجماعة « عيسويين » .

وبحسب ماجاء فى كتاب بلينى عن التاريخ الطبيعى ، فإن هذه الجماعة كانت تسكن فيما بين مدينة أريحا فى وادى الأردن شمالاً ، ومدينة عين جدى على البحر الميت جنوباً ، وهو نفس المكان الذى يضم خربة قمران . فبعد عودة اليهود من بابل ، نجح الكهنة فى جمع الناس على الديانة اليهودية التى أقاموها استناداً إلى تفسيرهم الخاص لتوراة موسى ، والذى على أساسه أعادوا صياغة كتبهم ، ومع سماح الفرس لليهود بإعادة بناء معبد اليبوسيين بالقدس ، أصبح هذا المعبد هو المقر الرئيسى لكهنة اليهود يمارسون فيه شعائرهم .

وكانت العبادة اليهودية التى أقامهاالكهنة ، تقوم على طقوس معينة - أهمها ذبح الأضحية - يقوم بها الكهنة فى المعبد كل يوم ، وبعضها يتم فى أيام السبت وفى الأعياد . وكان عامة اليهود مطالبين بتقديم جزء من نتاجهم عطية خاصة للمعبد . ولأن المناصب الكهنوتية كانت وقفا على

عائلات بعينها ، فلقد أصبح الكهنة يمثلون طبقة اجتماعية خاصة فى المجتمع ، استطاعت أن تحصل على ثروة كبيرة .

وكونت جماعة الكهنة فى تلك الفترة طائفة عرفت باسم الصدوقيين » - صدوقيم - والتى كانت تضم التجار والأرستقراطيين عامة ، وكانوا هم المتحكمين فى الشعب عن طريق تحكمهم فى العبادة فليس هناك صلوات أو طقوس للعبادة اليهودية يمكن أن يقوم بها الأفراد بأنفسهم - سواء فى منازلهم أو فى أى معبد آخر - ويصبح الطريق الوحيد لمن يريد العبادة هوالحضور إلى معبد القدس وتقديم القرابين والعطايا إلى الكهنة . وكان الصدوقيون يعتقدون بأن الروح تموت مع موت الجسد ، وهم يقومون بتطبيق النصوص التوراتية تطبيقاً حرفياً ولا يرون ضرورة استخدام العقل والمنطق - مثل القياس - فى تفسيراتهم . وعلى ذلك فإن الصدوقيين لم يؤمنوا لا بخلود الروح ولا بالبعث بعد الموت أو الحساب ، ولا بوجود كائنات من الجن والملائكة ذلك أن التوراة قامت على جوهر من فكرة وحدانية الرب ورفض عبادة الأصنام أو أى أرباب أخرى ، أما الاعتقاد بالقيامة والحساب فى الآخرة بعد الموت فليس له وجود فى الكتب المنسوبة إلى موسى ، إنما وردت هذه الإعتقادات فى كتب الأنبياء - من أمثال إشعيا - وصارت جزءا هاما من تعاليمهم .

فبينما أقام الكهنة ديانتهم على كتب التوراة فقط ، وهى الكتب الخمسة

الأولى من العهد القديم - تكوين .. خروج .. لاويين .. عدد ... تثنية - مستبعدين كتب الأنبياء ، فإن العيسويين قد جعلوا تعاليم الأنبياء جزءا هاما من اعتقاداتهم وعندما أدى هذا العصيان إلى محاربة الكهنة لهم، فهم تركوا المدن الكبيرة وخرجوا للحياة بعيداً فى البرية والمدن الصغيرة ، وأصبحوا يمارسون عباداتهم سراً حتى لا يبطش بهم الكهنة .

وكان من نتيجة الشكل السرى الذى أقاموا عليه نظامهم خوفاً من سلطة الكهنة ، عدم وجود تفاصيل كثيرة عن هذه الطائفة تدلنا على كيفية نشأتهم ، إلا أننا نجد أخبارهم مسجلة فى كتابات « فيلو جودا ياس » اليهودى السكندرى الذى عاش فى بداية التاريخ المسيحى و « يوسيفوس» المؤرخ الذى عاش فى فلسطين وكتب تاريخ اليهود للرومان عند نهاية القرن الميلادى الأول ، والرحالة اليونانى بلينى الكبير . ومن هذه الكتابات عرفنا أن هذه الطائفة كانت موجودة فى فلسطين ، فى المناطق القريبة من الجزء الشمالى الغربى للبحر الميت ، وبحسب الكتابات القديمة فإن هؤلاء العيسويين ، وإن كانوا يعتبرون يهودا ، إلا أنهم كانوا يختلفون عن باقى اليهود فى كونهم يؤمنون بخلود الروح ويؤمنون بالحساب فى الآخرة وهم لا يشتركون مع باقى اليهود فى تقديم الذبائح بالمعبد ، وكان عددهم لا يزيد عن أربعة آلاف عند بداية التاريخ الميلادى .

وينقسم العيسويون إلى قسمين ، قسم يعيش مثل الرهبان لا يتزوجون ، وقسم آخر يتزوج . ولكنهم جميعا يحاولون الابتعاد عن

الشهوات وملذات الحياة ، ويتنازلون عن أموالهم للجماعة ، فليس بينهم غنى ولا فقير إذ يشتركون جميعا فى ملكيتهم الجماعية وهم يعتبرون أن الوجود المادى للإنسان والمتمثل فى الجسد ، هو وجود مؤقت فانٍ ، وإنما الحياة الحقة لديهم هى الحياة الروحية لذلك فهم لا يخشون الموت بل يرحبون به ، ويرتدى العيسويون رداء أبيض .. وهم يستيقظون مبكراً حتى يؤدون الصلاة عند الفجر ، ثم يذهبون إلى أعمالهم التى هى عادة تتعلق بفلاحة الأرض ، وكانوا يقومون بصلاتهم الثانية عند غروب الشمس قبل أن يجلسوا لتناول الطعام الذى يتكون من الخبز ونوع واحد من الخضروات .

ويعتبر التطهر بالماء قبل الصلاة من أهم العادات التى حرص عليها العيسويون . ولم يكن من السهل الانضمام إلى جماعة العيسويين ، فهم لم يقبلوا النساء أعضاء فى طائفتهم ، وكان الراغب فى الانضمام إليهم يوضع أولاً تحت الاختبار مدة عام فإن ثبت صلاحه سمح له بعامين آخرين يشارك أثناءهما فى بعض الطقوس فقط ، ولا يصبح عضوا كاملا إلا بعد مرور ثلاث سنوات.

كان العيسويون يقضون معظم الليل فى قراءة كتبهم المقدسة ، والتى تتضمن - إلى جانب التوراة - كتب الأنبياء ، خاصة سفر إشعيا وهم يفسرون النصوص تفسيراً مجازيا وليس حرفيا ، ولذلك لا يفهم مغزى

كلامهم إلا من اطلع على أسرار تعاليمهم ، كما أنهم يحرمون على أعضائهم القسم إلا قسما واحداً عند قبولهم فى الجماعة ، وهو قسم على عدم البوح بأسرارهم ، ومن أهم تلك الأسرار كانت أسماء الملائكة التى كان عليهم حفظها ، ولم يكن باقى اليهود يعتقدون بوجود الملائكة .

وأدى الخلاف بين العيسويين والصدوقيين إلى ظهور طائفة جديدة لها اعتقادات وسط بين الجماعتين عرفت باسم « الفريسيين » فلقد أدى انتشار الفلسفة الأفلاطونية التى كانت تعتقد بوجود العالم الروحى الميتافيزيقى ، إلى أن الكثيرين من اليهود أصبحوا يعتقدون بعدم فناء الروح بعد الموت وكان الفريسيون يعتقدون بالقدرية - وهو أن كل شئ يحدث لنا إنما هو مكتوب ولا يمكن تغييره - ولكنهم كانوا أيضا يعتقدون بحرية الإرادة الإنسانية فى الاختيار ويقولون بأن الرب يساعد من يسير فى طريق الخير ، أما من يسلك طريق الشر فيتركه لاختياره هو ، وعلى ذلك فهم كانوا يقولون بأن أرواح الأشرار ستوضع فى سجن أبدى بعد الموت تعذب فيه إلى الأبد ، أما أرواح الأخيار فهى فى رأيهم تعود إلى الحياة فى جسد آخر .. أى أنهم كانوا يؤمنون بفكرة الحلول أو عودة الروح فى جسد آخر.

ومحاولة منهم إعطاء الشرعية لتفسيراتهم التى تختلف عن تعاليم الكهنة ، قال الفريسيون بأن الرب قد أعطى موسى - إلى جانب التوراة

المكتوبة - شريعة شفهية وصلت إليهم عن طريق تداول الأجيال - سجلوها بعدذلك فى التلمود - كما أنهم استخدموا العقل والمنطق فى تفسيرهم للنصوص .. حيث قالوا إن كل زمان له متطلباته ، فيصبح جوهر القانون هو المطلوب تنفيذه وليس شكله وحرفيته ومن أمثلة الحالات التى طبقوا فيها هذه الطريقة كانت قاعدة « العين بالعين » ، فهم قد توصلوا إلى أن القاعدة لم تعد فى زمانهم تتطلب بالضرورة قتل الجانى وإنما قد تتحول إلى تعويض المجنى عليه .

وكان الفريسيون هم الذين أقاموا الديانة اليهودية الربانية بعد ذلك عندما اختفت طائفة الكهنة على أثر تدمير الرومان لمعبد القدس عام ٧٠ ، حينما قتلوا جميع الكهنة إلا أنهم كانوا لازالوا يشتركون مع الصدوقيين فى فكرتهم عن شخص المسيح ودوره ، وهم الذين رفضوا نصارى عيسى وحاربوهم ووقفوا فى وجه دعوة العيسويين ، فقد كان اليهود - ولازالوا - منتظرين مسيحاً آخر غير عيسى ، يصبح ملكا عليهم ويحكمهم فى أبدية ، وعلى هذا فنحن نرى أن العيسويين - وإن كانوا يشكلون جزءا من مجتمع يهودا قبل تحطيم المعبد - إلا أنهم كانوا يختلفون عن باقى اليهود فى اعتقادهم بخلود الروح وبيوم القيامة عندما يعود معلمهم ليقود معركة أبناء النور ضد أبناء الظلام ، وينتصر المسيح العائد وينتهى الشر إلى الأبد . ولهذا يميل الكثير من الباحثين الآن إلى اعتبار العيسويين « يهود / مسيحيين » ، وهو ما سنعرف عنه أكثر بعد ذلك .

العثور فى قمران
على نماذج مختلفة من أسفار العهد القديم

كانت معظم الخلافات بين اليهود والمسيحيين الأوائل تتعلق بتفسير ما ورد فى كتب العهد القديم ، بخصوص المسيح المنتظر . وبينما اعتبر المسيحيون أن ماورد فى كتب الأنبياء فيما يتعلق بعبد الرب وابن الإنسان وعمانوئيل والنبى خليفة موسى ، إنما كانت كلها تتحدث عن عيسى المسيح وتبشر بقدومه ، قال اليهود إنها تتعلق بشعب إسرائيل وخلاصه، وإن مسيحهم ما زال منتظرا ، وكانت هناك بعض النصوص التى وردت بالترجمة اليونانية لكتب العهد القديم تختلف عما هو موجود بالكتب العبرية التى لدى اليهود، فأيهما أصدق ؟

بل إن هناك أسفاراً بأكملها وجدت فى النص اليونانى للعهد القديم ولم توجد بالنص العبرى ، وهى تتضمن تفاصيلا هامة فيمايتعلق بمجئ المخلص كما وأن الشخصية التاريخية للسيد المسيح لا يعرف اليهود عنها شيئاً ، فبخلاف ما ورد فى كتب العهد الجديد والذى يتعلق بمولد المسيح فى بيت لحم وحياته فى الناصرة وموته فى القدس ، فإن أحدا من المعاصرين لبداية القرن الميلادى الأول- سواء من اليهود أو الرومان- لم يذكر عنه شئ ، وتبين أن الفقرة التى وردت عنه فى كتابات « يوسيفوس »

إنما هى إضافة لاحقة قام بها أحد الناسخين المسيحيين .

لذلك فقد أثار العثور على مخطوطات قمران التى كتبت مابين القرن الثانى السابق الميلادى ومنتصف القرن الميلادى الأول ، الأمل فى وجود معلومات بها تحل هذه الألغاز وتفسر الأحداث تفسيراً تاريخياً . بل إن البعض كان يأمل فى العثور على نسخ قديمة من أناجيل العهد الجديد فى قمران ، أو على إشارة تتعلق بالحواريين .

ولكن الذى حدث كان يختلف تماما عن هذا كله ، فلا ذكر للسيد المسيح حيا فى هذه الفترة ، وإنما هناك جماعة شبه مسيحية تعيش فى قمران ، على بعد عدة أميال من القدس ، وهى تنتظر عودة معلمها الذى سبق له أن مات ، وتعتبر كهنة المعبد ممثلين للشيطان على الأرض ، ومسئولين عن موت معلمهم الصديق كما وأن الكتب التى قبلها المسيحيون ورفضها اليهود ، وجدت جميعها ضمن مكتبة العيسويين فى كهوف قمران .

كانت الجرار الفخارية التى حفظت بها المخطوطات ذات شكل خاص وحجم محدد ، فهى أسطوانية الشكل يزيد ارتفاعها قليلا عن نصف المتر ، مسطحة فى أعلاها وفى أسفلها وكان هذا النوع من الجرار ينتج عادة فى مصر خلال القرنين السابقين على العصر المسيحى ،مما يدل على أن

شكل الجرار ونظام حفظ المخطوطات فى داخلها كان مأخوذا عن العادات المصرية ، فلم يكن هذا النوع من الفخار ينتج فى فلسطين وكانت عادة حفظ المخطوطات فى داخل الجرار الفخارية هى عادة مصرية قديمة نشأت منذ عصر الملك رمسيس الثالث ، من الأسرة العشرين خلال القرن الثانى عشر قبل الميلاد ، واستمرت حتى القرن الميلادى التاسع .

وجدت معظم مخطوطات قمران مكتوبة على رقائق من الجلد ، وإن كان بعضها مكتوبا على أوراق البردى وواحدة على رقائق نحاسية ، مكتوبة فى غالبيتها بالعبرية ، إلا أن هناك بعض الكتابات الآرامية واليونانية ، وتتفق طريقة الخط المستخدم فى الكتابة مع نتيجة الحفر الأثرى فى خربة قمران ، وكذلك نتيجة الفحص الذى تم عن طريق كربون ١٤ ، على أن هذه المخطوطات قد تم كتابتها فى ما بين القرن الثانى قبل الميلاد ومنتصف القرن الميلادى الأول . وبالطبع فإن هناك عددا كبيرا من المخطوطات يتضمن كتبا قديمة ترجع إلى تاريخ سابق ، وإن كان نسخها قد تم خلال هذه الفترة ، وتحتوى مكتبة قمران على ثلاثة أنواع من الكتابات : كتابات توراتية من أسفار العهد القديم ، وكتابات لأسفار لم تدخل فى قانون العهد القديم ، وكتابات جماعة قمران العيسوية .

بلغت الكتب التوراتية حوالى مائتى كتاب ، فقد عثر على عدد كبير من

أسفار كتب العهدالقديم - باستثناء كتاب استير - وإن كان بعضها لم يتبقَ منه إلا قصاصات صغيرة ، وأكثر نسخ وجدت لكتاب واحد كانت للمزامير التى بلغ عددها ٢٧ نسخة وسفر التثنية الذى وجدت منه ٢٥ نسخة ، ثم لسفر إشعيا الذى وجدت منه ١٨ نسخة .

أما الكتابات التى لا تدخل فى قانون العهد القديم فهى نوعان ، نوع يسمى « أبو كريفا » مثل سفر توبيت وسفر حكمة بن سيرا والجزء المكتوب باليونانية من رسالة إرميا ، وهذا النوع وإن لم يدخل فى قانون النص العبرى المازورى إلا أنه موجود فى النص اليونانى السبعينى ، والنوع الآخر عبارة عن بعض الأسفار التى تمت كتابتها فى الفترة مابين القرن الثانى السابق للميلاد ونهاية القرن الميلادى الأول ، رفض الأحبار اعتبارها بين كتبهم المقدسة وأصبحت تعرف باسم « بسودبيجرافا » . إلا أن الترجمة اليونانية لهذه الكتب حفظها المسيحيون - أحيانا بالسريانية أو الأرمينية أو الحبشية فى مخطوطات قمران - مثل عهود الأسباط الاثنى عشر وسفر إينوخ - مما يبين أن جماعة العيسويين كانت تدخلها ضمن مكتبتها .

كما وجدت كذلك كتابات تفسيرية ، تقوم بشرح الكتب المقدسة بطريقة الجماعة ، أى عن طريق المجاز وليس على أساس من حرفية النص كما كان الكهنة يفعلون . وجد عدد من الكتب تحتوى على تفسير لأسفار

العهد القديم ، تختلف أحيانا عن التفسيرات التى نجدها فى كتب التلمود ، فمثلا فى كتاب تفسير سفرالتكوين - أول كتب العهد القديم - نجد أن القصة التى جاءت فى التوراة بشأن زواج فرعون من سارة ، قد جاء تفسيرها على أن الملك المصرى هو الذى خطف سارة فأصابه المرض حتى اضطر إلى إرجاعها لزوجها إبراهيم : « عندما سمع حاركتوش (الأمير المصرى) كلام لوط (ابن أخى إبراهيم) ، ذهب إلى الملك وقال له : كل هذه الكوارث وهذا الكرب الذى أصاب سيدى الملك ، كان بسبب سارة زوجة إبراهيم اترك سارة ترجع إلى زوجها ، وسوف تختفى هذه الكوارث والقروح عنك ».

وإلى جانب الكتب الدينية فقد عثر فى قمران على كتابات تختص بجماعة العيسويين نفسها ، مثل « كتاب التلاميذ » و« مخطوطة دمشق » و« مزامير الشكر » و« مخطوطة الحرب » وبالرغم من أن أسفار التوراة الخمسة الأولى تنسب إلى موسى - الذى عاش فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد - وبالرغم من أن أسفار العهد القديم قد تم صياغتها فى شكلها النهائى فيما بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد ، فإن الترجمات الموجودة حاليا لهذه الكتب التوراتية - بما فى ذلك الترجمات العربية - تعتمد كلها على النص العبرى المازورى الذى يرجع إلى عام ١٠٠٨ ميلادية .

كان اليهود منذ أن سمح لهم قورش الفارسى ببناء معبد القدس ، وعودة الكهنة من بابل خلال القرن الخامس قبل الميلاد ، يستخدمون التوراة - وهى الكتب الخمسة الأولى من العهد القديم والتى تحتوى على تعاليم موسى - فى عباداتهم ، إلا أنه ظهرت بينهم كتابات أخرى عديدة مثل تلك التى تحكى تاريخ بنى إسرائيل بعد موسى ، إلى جانب الكتب المنسوبة إلى مجموعة من الأنبياء ظهرت فى مابين القرن العاشر والقرن السادس قبل الميلاد ، وكتابات الحكمة والمزامير .

وبينما كانت جماعة العيسويين تهتم بجميع هذه الأسفار ، حيث كانت تفسر توراة موسى على أساس من تعاليم الأنبياء وأشعار المزامير ، فإن كهنة المعبد كانوا يحصرون اهتمامهم على الأسفار الخمسة الأولى وعندما اختفت طائفة الكهنة بعد أن دمر الرومان معبد القدس عام ٧٠ ميلادية ، قام الفقهاء من أحبار اليهود ببناء الديانة اليهودية حول التعاليم التلمودية التى قالوا بها لتفسير التوراة ، حيث اعتقدوا بوجود توراة شفهية غيرالتوراة المكتوبة ، وصلتهم نقلا عن موسى ، وفسروا النصوص المكتوبة على أساسها .

وعندما ظهرت الديانة المسيحية الجديدة ، التى اعتمدت فى محاجاتها لليهود على ما جاء بكتابات الأنبياء والمزامير ، ظهر خلاف بينهم حول الأسفار التى يمكن اعتبارها من بين الكتابات المقدسة واجتمع عدد من

الأحبار عند نهاية القرن الميلادى الأول بمدينة صغيرة اسمها يمنية بالقرب من يافا على الساحل الفلسطينى ، وقاموا بمراجعة جميع الكتابات الموجودة لديهم وتقرير ما يمكن أن يدخل منها فى ما أصبح يعرف باسم « القانون » أى التى يمكن اعتبارها جزءا من العهد القديم - واستبعدوا الكتابات الأخرى ، وعلى هذا الأساس فإن النص العبرى الذى تم العثور عليه فى نهاية القرن العاشر والذى أصبح أساسا للترجمات الحديثة ، يعتمد على هذا القانون الذى تم اختياره وتجميعه عند نهاية القرن الأول للميلاد .

إلا أن الملك بطليموس الثانى (فلاديلفيوس) - الذى أنشأ مكتبة الإسكندرية - كان قد استحضر مجموعة من كتبة القدس إلى الإسكندرية خلال القرن الثالث قبل الميلاد ، الذين جلبوا معهم كتبهم وتم ترجمتها إلى اللغة اليونانية ، والتى تعرف باسم النص السبعينى ولأن الكنيسة المسيحية استخدمت اللغة اليونانية منذ نشأتها فقد أصبح هذا النص السبعينى لكتب العهد القديم ، هو المستخدم لدى جميع الكنائس المسيحية حتى القرون الوسطى ، إلا أنه بعد ترجمة النص العبرى إلى اللاتينية واللغات الأخرى فى القرن السادس عشر ، تبين وجود عدة خلافات بينه وبين النص السبعينى ، مثل وجود أجزاء ناقصة أو زائدة ، وكذلك وجود بعض الاختلافات فى الكلام نفسه وفى أسماء الأعلام والتواريخ كذلك .

كما أن هناك أسفار فى المجموعة السبعينية اليونانية لكتب العهد القديم ، ليست موجودة فى القانون العبرى المازورى ، أصبحت الآن تعتبر من الكتب الدينية المشكوك فى صحتها والتى يطلق عليها اسم « أبو كريفا » وظل الخلاف قائما بين دارسى التوراة ، فبينما يصر بعضهم على صحة أحد النصوص وينكر الآخر ، يحاول آخرون التوفيق بينهما ، ولهذا فعندما تم العثورعلى مكتبة قمران فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، توقع الباحثون أن تكون هذه هى فرصتهم لحسم هذا الخلاف .

وأهمية الكتب التى عثر عليها فى قمران أنها ترجع - على الأقل - إلى القرن الثانى قبل الميلاد ، أى قريبا من الزمن الذى تمت فيه الترجمة السبعينية اليونانية ، وقبل أن يختار أحبار اليهود الكتب التى تدخل القانون ، ويقررون إعدام ما عداها .

وكان سفر إشعيا هو أول ما تم ترجمته من مخطوطات قمران ونشر عام ١٩٥٢، ولكنه لم يظهر سوى اختلافات بسيطة عن النص العبرى المازورى ، يمكن اعتبارها أخطاء إملائية أو اختلاف فى طريقة تركيب الجمل ، إلا أن الوضع تغير بعد ذلك عندما نشر فرانك مور كروس - أحد الخبراء المسئولين عن ترجمة النصوص - جزءا من سفر صموئيل جاء من الكهف (٤) ، وتبين أن هناك خلافاً جوهريا بينه وبين نظيره فى النص المازورى ، لكنه عندما قام بمقارنة هذا النص مع نظيره فى الترجمة

السبعينية اليونانية ، وجده يتفق اتفاقا كاملا معه ، إلا أن فرانك كروس عندما قام بترجمة جزء آخر من نفس المخطوط ، لاحظ وجود اختلاف فيه - ليس فقط مع النص المازورى - وإنما مع النص السبعينى كذلك ، وإن اتفق مع النص السامرى .

فهناك جماعة صغيرة من السامريين تعيش في منطقة نابلس ، لديها كتابها المقدس الذى يحتوى على الأسفار الخمسة الأولى فقط من كتب العهدالقديم ، تعتقد الجماعة بأن أصله يعود إلى أيام النبى موسى ، وهناك اختلافات عديدة بين ما ورد فى الأسفار السامرية وما جاء فى كل من النص العبرى المازورى واليونانى السبعينى . ومن بين نقاط الخلاف التى لها دلالة هامة ، ما يتعلق منها بالمدة التى قضاها بنى إسرائيل فى مصر ، فبينما يقول النص العبرى بأن بقاءهم فى مصر كان لمدة ٤٣٠ سنة ، فإن النص السامرى - ويتفق معه فى هذا النص اليونانى - يجعل هذه المدة تشمل بقاء بنى إسرائيل فى كنعان وفى مصر ، أى الفترة منذ مجئ إبراهيم إلى كنعان إلى خروج موسى إلى سيناء .

إلا أنه تم العثور على رقعة صغيرة فى الكهف رقم (٤) بقمران مكتوبة بالعبرية تحتوى على جزء من سفر الخروج ، وجدت أنها تتفق مع القراءة السامرية فى بعض الأجزاء التى تختلف فيها عن النص العبرى .

وهذا يدل على أن الأسفار السامرية ترجع إلى نص قديم كان موجودا منذ نشأة هذه الجماعة فى القرن الخامس قبل الميلاد ، لم يحدث به تغيير .

وهكذا فنحن نجد بين الكتابات التى عثر عليها فى كهوف قمران من العهد القديم ، ما يتفق منها مع النص العبرى المازورى وما يتفق مع النص اليونانى السبعينى وما يتفق مع النص السامرى ، إلى جانب كتابات أخرى تحتوى على مزيج من هذه النصوص . كل هذا يدل على أنه كان هناك - على الأقل - أربع كتابات مختلفة لذات الأسفار التى تدخل ضمن مجموعة العهد القديم ، مما دفع بعدد كبير من الباحثين المسيحيين للمطالبة بعدم الاقتصار على النص المازورى فقط عند القيام بترجمات جديدة ، وإنما باختيار الأصلح والأقرب إلى الصحة من بين النصوص الموجودة .

كتاب التلاميذ ومخطوطة دمشق

إلى جانب المخطوطات التى تتضمن الكتابات الدينية ، تم العثور فى كهوف قمران على بعض النصوص التى تشرح طريقة نظام جماعة العيسويين ، منها « كتاب التلاميذ » والكتاب الذى عرف باسم « مخطوطة دمشق » . والمرجح أن هذه التسمية ترجع إلى ماورد فى بعض كتب الأنبياء بخصوص عقاب الرب للعصاة من بنى إسرائيل عن طريق إبعادهم عن فلسطين . فقد ورد فى الإصحاح التاسع من سفر زكريا : « وحى كلمة الرب فى أرض حدراخ ودمشق محله » . كما ورد بالإصحاح الخامس من سفر عاموس على لسان الرب : « هل قدمتم لى ذبائح ... أربعين سنة يا بيت إسرائيل . بل حملتم خيمة ملوككم وتمثال أصنامكم نجم إلهكم الذى صنعتم لنفوسكم فأسبيكم إلى ماوراء دمشق » . يبدو أن اسم « دمشق » كان يمثل كناية رمزية لجماعة قمران ، فبينما يتكلم الأنبياء على نفى بنى إسرائيل شمالا إلى ماوراء دمشق ، عقابا لهم على عبادة الأصنام فإن مخطوطة دمشق تعيد صياغة هذا النص لتجعله يمثل الوعد للطائفة التى حافظت على إيمانها وسط إسرائيل بأن تهرب من المجتمع اليهودى لتقوم بحماية الرسالة الصحيحة : « سوف أنفى خيمة ملككم وقواعد تماثيلكم من خيمتى إلى دمشق » .

وبحسب التفسير الرمزى الذى تتبعه جماعة قمران ، فإن « خيمة الملك » تعنى « كتب الرب » ، « قواعد التماثيل » تعنى « كتب الأنبياء » ، وعلى هذا فإن تفسير الجماعة للنص يعنى « أن الرب سينقل مع الجماعة كتب التوراة وكتب الأنبياء - التى كان يهود القدس يكرهونها - بعيداً عن يهودا ، لحمايتها » .

« وهم حفروا البئر : البئر التى حفرها الأمراء ، التى حفرها شرفاء الشعب بالعصى » والبئر هو الشرع ، ومن حفروها كانوا هم الذين اهتدوا من بنى إسرائيل الذين خرجوا من أرض يهودا ليسكنوا أرض دمشق سماهم الرب الأمراء لجئوا إليه ، وسمعتهم لا ينازعها أحد . والعصى هى مفسر الشرع الذى قال عنه إشعيا « يخرج أداة لعمله ، وشرفاء الناس هم أولئك الذين يأتون لحفر البئر بالعصى .. حتى يسيروا فى كل عصر الشر ، إلى أن يأتى من سوف يعلم الصدق فى نهاية الأيام.. منذ اليوم الذى يأتى فيه المعلم الأوحد وحتى فناء كل رجال الحرب الذين يعودون مع رجل الكذب ، سيكون حوالى أربعين عاما ، وفى هذه الفترة سيشتعل غضب الرب ضد بنى إسرائيل ، كما قال : لأن بنى إسرائيل سيقعدون أياما كثيرة بلا ملك وبلا رئيس وبلا قاضٍ . »

أما الاسم الذى أطلقه أهل الجماعة على أنفسهم فهو « بريث

حاداشة » أى « العهد الجديد » ، وكانوا - وإن اختلفوا عن كهنةمعبد القدس وتباعدوا عنهم - يعتبرون أنفسهم جماعة من النساك ، وكان كاهنهم هو أعلى مرتبة فى الجماعة فلا يجوز لهم الاجتماع - إذا بلغ عددهم عشرة أو زيادة - دون أن يكون بينهم كاهن ، ومع هذا فإن تسيير أمور الجماعة كان يتم عن طريق الشورى ، حيث كانت الأمور تعرض للمناقشة ويحق لكل عضو الاشتراك برأيه ، ثم التصويت فى النهاية ، إلا أن أى قرار يتخذه مجلس كهنة الجماعة يعتبر قرارا مقدسا لا يمكن الخروج عنه ، كان يرأس الجماعة كاهنان لكل منهما اختصاصاته ، يسمى أحدهما « باقد » أى « المراقب » ، وهو يشرف على المسائل الدينية ويختبر الأعضاء الراغبين فى الانضمام إلى الجماعة ، والثانى « مبقر » بمعنى « ناظر » وهو الذى يتولى الأمور الإدارة والمالية .

وسبق أن تم العثور فى عام ١٨٩٦ على نسختين من « مخطوطة دمشق » فى غرفة كانت مغلقة بالمعبد اليهودى بمصر العتيقة بالقاهرة . كان هذا المعبد من قبل كنيسة القديس ميكائيل القبطية ، إلا أن اليهود فى مصر قاموا بشرائها عام ٨٢٢ .

وكان قصر الشمعة - اسم الكنيسة - يمثل بقايا القلعة الرومانية القديمة التى بنى عمرو بن العاص مدينة الفسطاط بجوارها ، كان بها ست كنائس للأقباط ، هى الكنيسة المعلقة وكنيسة أبو سيرج ومار جرجس

ومريم العذراء والقديسة باربارا والقديس ميكائيل . حول اليهود كنيسة ميكائيل إلى معبد عزرا ، الذى كانت به غرفة خلفية للمخزن تسمى كنيزة - وهى غرفة ليس بها نوافذ ولا أبواب - ولم يكن يمكن الدخول إليها إلا عن طريق فتحة فى أحد جدرانها وتبين أنها تحتوى على العديد من بقايا المخطوطات القديمة التى لم يستطع اليهود التخلص منها لوجود اسم الرب مدونا بها .

تتكون مخطوطة دمشق من جزئين ، يتضمن الجزء الأول بعض النصائح للأعضاء ، ويحتوى الجزء الثانى على بعض الشرائع التى تحضهم على الحفاظ على إيمانهم . إلا أن هذا الكتاب يقوم بتفسير نصوص العهد القديم بطريقة غريبة تختلف مع ما يقول به كهنة المعبد ، ومن أمثلة هذه الاختلافات ما يتعلق بقانون الزواج ، فبينما قال كهنة المعبد وأحبار التلمود بجواز الزواج من ابنة الأخ أو الأخت - لعدم ورود نص صريح فى التوراة يحرمه - فإن جماعة قمران تحرّم هذا الزواج قياسا على تحريم زواج العمات والخالات .

ويتنازل العضو الجديد فى جماعة قمران عن ممتلكاته لتكون ملكية مشتركة فى الجماعة وكانوا يتناولون طعامهم سويا ويقومون بالتسابيح جماعة . وكانت جماعة قمران تتبع نظاما صارما فى حياتها ، وتقوم على

أساس من الطبقات والدرجات . فعند الاجتماع كان كل منهم يجلس بحسب درجته ، ولا يتكلم إلا عندما ينتهى من هو أعلى منه درجة من الكلام ، وكذلك الحال فى جميع الشئون الأخرى . وعندما تجتمع الجماعة فى المناسبات الخاصة :

« يكون كل أفراد الجماعة كل على حسب درجته ، ويجب أن يتم سؤالهم عن المسائل المتعلقة بشئون المجلس بهذا الترتيب ، وعلى كل رجل أن يقص ما يعرفه على مجلس الجماعة . لا تجعل أحدا يقاطع زميله أثناء كلامه أو يسبق دوره فى الكلام وإنما يتكلم الرجل عندما يطلب منه ذلك عند مجئ دوره ، وفى جلسة الجماعة لا يتكلم أحد بما يغضب الغالبية أو بخلاف توجيه الناظر وإذا كان أى رجل يرغب فى الحديث إلى الجماعة ، فعليه أن يقف على قدميه ويقول « لدى شئ أقوله للجماعة » ، فإذا دعوه تكلم » .

كما تم العثور على مخطوط يحتوى على نظام الجماعة فى الكهف رقم (١) ، الذى يسمى كتاب التلاميذ ، يحتوى على القواعد التى على أساسها تتم معرفة الحقيقة والبهتان ، ويحدد الخطوات التى يمر بها العضو الجديد حتى يتم قبوله فى الجماعة، وكيفية تنظيم التلاميذ ، وكذلك نظام توقيع العقوبات على المخالفين لقواعد الجماعة ، ويحدد القواعد الأساسية لواجبات سيد الجماعة والأعضاء ويبين الأعياد المقدسة التى

تحتفل بها الجماعة : وتنقسم محتويات هذا الكتاب إلى ثلاثة أجزاء :

١- شروط الانضمام إلى جماعة العهد الجديد .

٢- نظام عمل مجلس الجماعة.

٣- تعليمات يلتزم سيد الجماعة باتباعها .

١- « على السيد أن يعلِّم التلاميذ أن يعيشوا تبعا لنظام الجماعة ، وأن يسعوا إلى الرب بكل قلوبهم وأرواحهم ، وأن يعملوا ما هو صالح ومستقيم أمامه ، كما أمر على يد موسى وكل عبيده من الأنبياء ، وأن يحبوا كل ما اختار ويكرهوا كل ما نبذ ، وأن يبتعدوا عن الشر ويلتصقوا بكل الأعمال الطيبة .. ولسوف يقبل (سيد الجماعة) فى جماعة عهد الحب الراسخ ، كل من وهب نفسه بحرية لمراعاة فرائض الله ، حتى ينضموا إلى جماعة الله ويعيشوا فى كمال أمامه .. علمهم فى حقيقة كمال الله وأن يسخروا قوتهم على حسب طريقته للتكامل ويسخروا كل أموالهم حسب مشورته الصادقة .. وعلى كل من يعتنق نظام الجماعة أن يدخلوا العهد (الجديد) أمام الله لطاعة كل وصاياه حتى لا يتركوه خلال فترة سيطرة الشيطان ، خوفا أو رعبا أو حزنا ، وعندما يدخلوا العهد يقوم الكهنة واللاويون بتسبيح إله الخلاص وكل إيمانه ، ويقول بعدهم كل الداخلين إلى العهد ، آمين ، آمين .. كل أبناء الصلاح يحكمهم أمير النور

وهم يمشون فى طريق النور ، ولكن أبناء النفاق يحكمهم ملاك الظلام وهم يمشون فى طريق الظلام ويقوم ملاك الظلام بتضليل كل أبناء الصلاح ، وحتى نهايته فإن كل خطاياهم وآثامهم وشرورهم وأعمالهم غير المشروعة تكون بسبب سيطرته » .

وكما أن العالم الخارجى يحكمه الصراع الدائم بين قوى الخير والقوى الشريرة ، فإن النفس الإنسانية تحتوى هى الأخرى على عناصر هذا الصراع فى داخلها ، فبحسب ما جاء بهذا الكتاب فإن كل إنسان له روحان يعيش بهما طوال حياته ، وهما روح الحق وروح الخطأ ، وبينما يأتى الحق من مراكز النور فإن الخطأ مصدره الظلام وتتصارع الروحان داخل كل إنسان فإن تغلبت روح الحق جاء سلوك الإنسان خيرا أما إذا تغلبت روح الخطأ فتكون تصرفات الإنسان غير سليمة ، وفى الواقع فإن هـذه الأفكار عن وجود صراع أبدى بين الخير والشر ، وأن الشيطان - الذى هو ملاك الظلام - يقوم بغواية البشر ، وإن كانت معروفة لدينا الآن من التعاليم الإسلامية والمسيحية ، إلا أن يهودية الكهنة لم تكن تعرف هذه الأفكار أو تؤمن بها .

وتضمن الكتاب الأفعال المحرم على الأعضاء القيام بها والعقوبة التى توقع على فاعلها ، من بينها :

« إذا كذب واحد منهم عمدا فى مسألة من مسائل الملكية ، فسوف يستبعد من وجبة الجماعة الطاهرة لمدة عام وسوف يقدم ربعا من طعامه كفارة للتوبة . كل من يجاوب زميله فى عناد أو يخاطبه بضجر ، إلى حد أنه لا يراعى كرامة زميله بعصيان الأمر الصادر من زميل يعلو عليه مرتبة ، يكون قد خرج على قانون الجماعة ولهذا يكون عليه الاستغفار لمدة عام ، (يكون فيه مستبعدا من الجماعة) .

إذا نطق أحد بالاسم الكريم ، حتى ولو كان عن طريق الاستهتار أو نتيجة صدمة أو لأى سبب آخر مهما كان - بينما هو يقرأ كتاب الصلاة - فلسوف يطرد ولا يعود أبدا إلى مجلس الجماعة .

إذا تحدث العضو بغضب ضد الكهنة المذكورين فى الكتاب ، فسوف يكفر عن فعله لمدة عام ويحرم من وجبة الجماعة الطاهرة ، لأجل روحه أما إذا كان قد تحدث سهوا فيكفر ستة أشهر .

كل من يكذب عمدا يكون عليه التكفير لمدة ستة أشهر .

كل من يهين زميله عمدا - بدون وجه حق - يقوم بالتكفير لمدة عام يستبعد خلاله .

كل من يخدع زميله عامدا بالكلام أو بالفعل ، يقوم بالتكفير لمدة ستة أشهر ..

كل من يتذمر ضد سلطة الجماعة يطرد ولا يعود ، ولكن إذا تذمر ضد زميل له يقوم بالتكفير لمدة ستة أشهر .. فى مجلس الجماعة يكون اثنا عشر رجلا وثلاثة من الكهنة ، خبيرين فى كل ما أوحى به من الشرع ، ويكون عملهم قائم على الحق والاستقامة والعدل ، يحبون الشفقة والتواضع وسوف يحافظون على الإيمان فى الأرض بحزم وتواضع ، ويكفرون عن الخطيئة بممارسة العدل وتحمل سهام المحنة وسوف يسيرون مع كل الرجال على أساس من الحق وحكم العصر .

يجب ألا يخفى المفسر عنهم (الأعضاء) – خوفا من روح الردة - أى من الأشياء الخافية عن بنى إسرائيل . والتى اكتشفها هو .. وعليهم أن ينفصلوا عن مسكن غير الورعين من الرجال ، وسوف يرحلون إلى البرية لإعداد الطريق له ، فكما هو مكتوب (فى سفر إشعيا) : فى البرية أعدوا طريق الرب قوموا فى القفر سبيلا لإلهنا . وهذا الطريق هو دراسة الشرع الذى أوصاه على يد موسى ، وأن يعملا بحسب كل ما أوحى به من عصر إلى عصر ، وكما بين الأنبياء عن طريق روحه القدس » .

من هو المعلم الصديق لجماعة قمران
ومن هو الكاهن الشرير

يقول إنجيل متى بشأن ميلاد المسيح إنه « لما ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية فى أيام هيرودس الملك إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود ؟.. فإننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له ، فلما سمع هيرودس الملك اضطرب وجميع أورشليم معه فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم أين يولد المسيح ؟ فقالوا له فى بيت لحم اليهودية .حينئذ دعا هيرودس المجوس سرا ، تحقق منهم زمان النجم الذى ظهر ثم أرسلهم إلى بيت لحم وقال اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبى ومتى وجدتموه فأخبرونى ... فلما سمعوا من الملك ذهبوا ، وإذا النجم الذى رأوه فى المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف حيث كان الصبى .. فخروا وسجدوا له ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهبا ولبانا ومرا .

ثم أوحى إليهم فى حلم أن لا يرجعوا إلى هيرودس .. وبعد ما انصرفوا إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم قائلا : قم خذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبى ليهلكه ... (و) لما رأى هيرودس أن المجوس سخروا به

غضب جدا فأرسل وقتل جميع الصبيان الذين فى بيت لحم وفى كل تخومها من ابن سنتين فما دون بحسب الزمان الذى تحققه المجوس .. فلما مات هيرودوس ، إذا بملاك الرب قد ظهر فى حلم ليوسف فى مصر قائلا : قم وخذ الصبى وأمه واذهب إلى أرض إسرائيل لأنه قد مات الذين يطلبون نفس الصبى .»

ولما كان الملك هيرودوس قد مات فى العام الرابع قبل الميلاد ، فإن ميلاد المسيح وقتل الأطفال - بحسب هذه الرواية - لابد وأن يكون قد تم قبل هذا التاريخ ، كما وأن أناجيل العهد الجديد تحدد وقت موت المسيح فى خلال فترة الحاكم الرومانى « بونتياس بيلاطس » ، الذى حكم فلسطين فى ما بين ٢٦ و ٣٦ للميلاد . وبما أن جماعة قمران كانت قائمة منذ القرن الثانى السابق للميلاد وحتى منتصف القرن الميلادى الأول - الذى تتضمن وقت ميلاد ووفاة السيد المسيح - فقد توقع الكثيرون العثور على ذكر أو تعليق على هذه الأحداث ، يؤكد أو ينفى التفسيرات القائمة .

إلا أن الكتابات التى تم ترجمتها ونشرها لا تحتوى على أية معلومات فى هذا الخصوص ، فلا ذكر لمقتل الأطفال أيام هيرودوس ولا لصلب المسيح أيام بونتياس بيلاطس . وبدلا من هذا فإن جماعة قمران تتحدث عن شخص آخر - لا تذكر اسمه أو الزمن الذى عاش فيه - كان هو معلمها

الذى مات فى تاريخ سابق ، وهم فى انتظار عودته .

وتبين من الكتابات الخاصة بجماعة قمران أن العيسويين كانوا يعتقدون بأنهم يمثلون طائفة العهد الجديد ، مقابل العهد القديم الذى يقول به اليهود ، وجوهر العهد القديم عند اليهود كان يقوم على أساس من التزامهم بختان الأولاد إلى ما جاء بسفر التكوين عندما خاطب الرب إبراهيم الخليل قائلا : « أقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك .. هذا هو عهدى بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك ، يختن منكم كل ذكر فتختنون فى لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بينى وبينكم ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر فى أجيالكم .. فيكون عهدى فى لحمكم عهدا أبديا ، وأما الأغلف الذى لا يختن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها إنه قد نكث عهدى » .

إلا أنه لما جاءت الدعوة المسيحية ، قال الحواريون - وبعدهم بولس الرسول - بانتهاء خاصة العهد القديم القائم على الانتماء السلالى ، وببدء عصر العهد الجديد لكل من يؤمن بقيامة المسيح من أبناء الأمم ، ولهذا فإن الدعوة المسيحية قد رفضت فكرة الشعب المختار منذ البداية ، ولهذا أيضا فإن نبى الإسلام قد وصف بأنه « النبى الأمى » ، أى الذى جاء من الأمة العربية من غير بنى إسرائيل .

إلا أن جماعة قمران العيسوية - والتى يرجع أصلها إلى زمن يسبق العصر المسيحى بعشرات السنين - كانت هى الأخرى تعتقد بأنها تمثل العهد الجديد وإن كانت هذه الجماعة قد ظلت جزءا من الكيان السياسى لليهود ، ولم تخرج بدعوتها إلى الأمم . وجوهر فكرة العهد الجديد تقوم على أساس أن من يؤمن بقيامة المسيح - أى من يؤمن بالحياة الأخرى - لا يمكن له أن يموت ، إذ لا يموت إلا الكيان الجسدى أما الأرواح فلها الخلود . ولما كانت يهودية الكهنة لا تعتقد بوجود الروح ولا بالحياة بعد الموت ، فقد أصبح الاعتقاد بخلود الروح هو جوهر المسيحية ، فقد جاء بإنجيل يوحنا على لسان السيد المسيح : « أنا هو القيامة والحياة ، من آمن بى ولو مات فسيحيا ، وكل من حيا وآمن بى فلن يموت إلى الأبد » .

وتبين من كتابات جماعة قمران أنه كان لهم معلم يلقبونه باسم « المعلم الصديق » ، كانت نهايته دموية فى زمن غير محدد من الماضى ، أى قبل القرن الثانى السابق للميلاد ، وأن الذى تسبب فى موته كان هو « الكاهن الشرير » . وبحسب ما جاء فى المخطوطة التى تحتوى على تفسير سفر «حبقوق » وكذلك فى مخطوطة « حرب أبناء النور مع أبناء الظلام » ، فإن «الرب قد كشف له كل أسرار كلمات عبيده من الأنبياء » . وهناك تشابه كبير بين « المعلم الصديق » الذى ورد ذكره فى كتابات جماعة قمران ، وعيسى المسيح الذى نعرفه من كتابات العهد الجديد ومن القرآن . وقد

قام الباحث الفرنسى « أندريه دوبونت سومر » بعمل مقارنة بين الاثنين : « كان تلاميذ (المعلم الصديق) يعتقدون أنه - مثل يسوع - هو المسيح مختار الله ومخلص العالم. وكلا منهما كان يعارض الكهنة ، وكلاهما حكم عليه بالموت ، وكلاهما أعلن حكم الإدانة على القدس ، وكلاهما كون جماعة ينتظر أعضاؤها عودته (فى نهاية الأيام) للحكم على العالم » .

إلا أن الباحثين انقسموا فى تفسيرهم لأهمية مخطوطات قمران فى التعرف على أصل المسيحية إلى عدة مذاهب . وبينما حاول البعض منهم استبعاد وجود أية علاقة بين جماعة قمران والتاريخ المسيحى ، فقد قال البعض الآخر - مثل تايشر الذى كان أستاذا بجامعة كامبريدج - بأن المعلم الصديق ما هو إلا عيسى المسيح نفسه ، وبأن هؤلاء العيسويين ماهم إلا الجماعة المسيحية الأولى .

بل إن واحداً من الباحثين الثمانية الذين اختارتهم السلطات الأردنية لدراسة المخطوطات ، وهو البريطانى « چون اليجرو » من جامعة مانشستر ، قد ذهب إلى أن المسيح لم يكن شخصا تاريخيا على الإطلاق ، وإنما شخصية أسطورية كما كتب الأمريكى « ادموند ويلسون » عدة كتب يقول فيها إن مولد المسيحية لم يكن فى بيت لحم وإنما فى قمران . إلا أن الغالبية العظمى من الباحثين لم تتخذ هذه المواقف المتطرفة ، وإن اعترفت بأن مخطوطات قمران لابد وأن تؤدى إلى تغير كبير فى تفسير

المرحلة الأولى الغامضة من تاريخ المسيحية ، ويقول الأمريكى وليام أولبرايت - الذى له دراسات عديدة فى آثار منطقة فلسطين وتاريخ الكتابات القديمة - بأن هذه « الأدلة الجديدة ... ستؤدى إلى تطور ثورى فى نظرتنا إلى بداية المسيحية » إلاأن هناك طائفة تتكون معظمها من أساتذة دراسات العهد القديم ، تقول بأن يسوع كان تلميذا فى جماعة قمران ، وبالتالى فإن تعاليمه كانت مأخوذة عنها .

وحاول الباحثون عبثا تحديد شخصية المعلم الصديق والتعرف على اسم الكاهن الشرير ، واقترحوا لهذا عدة اسماء فى تاريخ حكام يهودا الهاسمونيين خلال القرن الثانى قبل الميلاد ، ولكن ليس هناك أى دليل يؤكد صحة هذه التخمينات ، كما أن يوسيفوس - المؤرخ اليهودى المعروف - لم يذكر أى شئ من هذا القبيل ، والأرجح أن المعلم عاش ومات فى عصر سابق ، وإن كانت الجماعة تعتقد أن كهنة معبد القدس هم خلفاء الكاهن الشرير وممثلو الشيطان على الأرض .

وكل ما نعرفه من كتابات جماعة قمران أن المعلم الصديق كان يعرف التفسير الصحيح لما جاء بتعاليم الأنبياء ، وقواعد الاحتفال بالأعياد ، وأن الكاهن الشرير - والذى يسمى أحيانا بالكذاب - اختلف معه ، وهاجمه فى المكان الذى كان يهرب فيه ، فهرب مع بعض تلاميذه إلى ما يسمى بأرض دمشق ، وإن كان أحد لا يعرف بالتحديد ماذا تعنى هذه

الكناية ، فليس المقصود هنا « دمشق » العاصمة السورية ، وإنما استخدمت هذه الكلمة كرمز لمكان آخر لا يعرفه إلا التلاميذ . فقد كانت جماعة قمران تفسر كتاباتها على أنها رموز ، ويحلف الأعضاء اليمين عند قبولهم بعدم الافصاح عن المعانى الخاصة التى يفسرون بها هذه الكلمات ، إلا أن الكاهن الشرير عاد وهاجم المعلم الصديق فى مكان عزلته ، وكان هجومه عليه فى اليوم الذى أصبح يعرف باسم « يوم كيبور » أو يوم الغفران ، و« أمسك به (بالمعلم) حتى يبتلعه » ، ثم تذكر رواية أخرى كيف أن « الرب يخلصه من أيديهم » .

ومنذ أن أصبحت مكتبة قمران بكاملها تحت سيطرة السلطات الإسرائيلية ، على أثر احتلالها للقدس الشرقية ومنطقة قمران بعد حرب يونيو ١٩٦٧ ، لم تقم لجنة المخطوطات بنشر أية ترجمات أخرى ، إلا أن « هرشيل شانكس » - رئيس تحرير مجلة بيبليكال أركيولوچيكال چورنال وبيبليكال ريڤيو الأمريكية - قد نشر عام ١٩٩٠ نصا صغيرا من مخطوطة دمشق قال إنه حصل عليه عن طريق بعض الأصدقاء ، وأثار هذا النص اهتماما كبيرا ، والسبب الذى جعل هذا النص - رغم صغر حجمه - يثير العديد من التساؤلات ، هو أنه يشبه ماورد فى الإصحاح الأول من إنجيل لوقا عن ميلاد عيسى المسيح ، والذى يتعلق بالبشارة التى حملها جبريل إلى مريم : « سيكون عظيما فى الأرض وابن العلى يدعى » .

والجدير بالذكر أن آباء الكنيسة حتى القرن الرابع للميلاد كانوا يقولون بأن المسيح كان له وجود سابق على ظهوره للحواريين فى فلسطين . فقد كتب « يوسيبيوس » أول مؤرخ للكنيسة يقول إن : « طبيعة المسيح مزدوجة .. فكلا من يسوع والمسيح كان اسما ممجدا حتى من أنبياء الله المحبوبين منذ القدم ، كما يجب على الآن أن أوضح ، فلقداسة وعظمة هذا الاسم البالغة قام موسى نفسه بإعلانه أولا .. فهو عندما وصف الكاهن الأكبر للرب - وهو أقوى الرجال - قد دعاه المسيح .. كما أن موسى تمكن بالروح القدس أن يتنبأ بوضوح عن لقب يسوع ، فهو شعر أن هذا أيضا يستحق امتيازاً خاصا ولم يكن بعد قد سمعته آذان البشر ، تبين لموسى لقب يسوع الذى أعطاه للمرة الأولى والوحيدة للرجل الذى - على سبيل الرمز - عرف أنه سيخلفه بعد موته فى سلطته العالية .

ولم يكن خليفته حتى ذلك الوقت قد استخدم التسمية « يسوع » ، وإنما كان معروفا باسم آخر « هوشيا » الذى أعطاه له أبواه ، لكن موسى دعا يسوع مضيفا عليه الاسم كشرف لا يضاهيه ثمن ، أعظم بكثير من أى تاج ملكى ، ذلك أن يشوع بن نون حمل بنفسه شكل مخلصنا ، الذى هو وحده - من بعد موسى واستكمال التكريم الرمزى الذى أعطاه للرجال - قد خلف السلطة على الدين الصحيح الخالص » .

ونحن نرى أن يوسيبيوس هنا يكاد يقول بأن يشوع بن نون خليفة

موسى هو نفسه يسوع المسيح ، فهو ليس فقط يحمل نفس الاسم ولكن الشبه كذلك ، كما وأنه - مثله - خليفة موسى . والمشكلة هنا أن المفروض أن يشوع قد عاش فى نفس زمن موسى خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، بينما عاش يسوع فى بداية القرن الميلادى الأول . كل هذا الكلام يحمل رموزا كان يعرفها الأوائل من رجال الكنيسة كما كان رجال قمران يعرفون الرموز كذلك .

وكما نرى فإن مخطوطات قمران بدلا من أن تؤكد ما كان معروفا من قبل فهى قد فتحت الموضوع للبحث من جديد ، ولا شك أنه بصرف النظر عن نشر ما تبقى من المخطوطات من عدمه ، فما قد نشر حتى الآن يكفى لإثارة العديد من الأسئلة التى تحتاج الإجابة عليها .